

بلاغة الكفاح ... دراسة أسلوبية لبعض أقوال الشيخ: " محمد البشير الإبراهيمي " .

" the Rhetoric of Struggle ...A stylistic study of some of the sayings of Sheikh
Mohamed AL-Bachir AL-Ibrahimi "

1 الدكتور: سعيد بن دويفع *

جامعة ابن خلدون / تيارت، البريد الإلكتروني: bendouifqq@gmail.com

تاريخ الارسال 2024-08-25 تاريخ القبول 2024-09-16 تاريخ النشر 2025-03-16

ملخص:

نقدّم بين ثنايا هذه الورقة البحثية المعنونة بـ " بلاغة الكفاح ... دراسة أسلوبية لبعض أقوال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي "، دراسةً تحليليةً - على ضوء المنهج الأسلوبي -، نتناول من خلالها جملة من النصوص الثرية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله

ولقد قمنا بتقسيم هاته الدراسة إلى قسمين:

القسم النظري: نتطرق فيه إلى التعريف بالإبراهيمي، جمعية العلماء المسلمين، ومفهوم بلاغة الكفاح، التحليل الأسلوبي ... الخ .

القسم التطبيقي: نقوم فيه بتحليل مجموعة من النصوص المنتقاة من كتاب آثار البشير الإبراهيمي ، تحليلًا أسلوبيا ، ثم نردف هاته العملية برأي نقدي .

الكلمات المتاحية: التحليل الأسلوبي، بلاغة الكفاح، البشير الإبراهيمي، الجزائر، الاستعمار .

Abstract: We present this research paper entitled " the Rhetoric of Struggle ...A stylistic study of some of the sayings of Sheikh Mohamed AL-Bachir AL-Ibrahimi ", an analytical study- in the light of the stylistic approach-, through which we deal with a number of prose texts of Sheikh Mohamed AL-Bachir AL-Ibrahimi- may allah have mercy on him

We have divided this study into two parts:

Theoretical section: We address the definition of Ibrahimi, the Association of Muslim Scholars, the concept of the rhetoric of struggle, stylistic analysis ... Etc

Practical section: in which we analyze a group of texts selected from the book the effects of Bashir Ibrahimi, stylistically, and then we add this process with a critical opinion .

Keywords: stylistic analysis, rhetoric of struggle, Bashir Ibrahimi, Algeria, colonialism .

1. مقدمة: حب الوطن، والسعي إلى خدمته، والتفاني في تأدية الواجب تجاهه، من الأخلاق النبيلة التي لا يمتلكها إلا ذوو القلوب السليمة والنفوس العظيمة، المتشبعة بالقيم السامية كالمروءة، والشهامة، والشجاعة، والكرامة، والأصالة، وهي متجذرة فيها، متعلقة بها، نافرة إليها من وعن كل شيء عداها، لأنها عرفت منذ نعومة الأظفار، وورثتها عن آباء ورثوها هم عن أجداد عرفوها منذ نعومة الأظفار أيضا

والشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، من الرجال القلائل الذين عرفوا بتلك الأخلاق النبيلة، وشهد لهم العدو قبل الصديق بها، فقد قضى حياته كلها خادما للدين والوطن والعروبة والأمازيغية، حتى صار علما من أعلام الجهاد ورمزا من رموز الإصلاح ونابغة من نوابغ اللغة والفكر والأدب، وقد وظّف كل هاته المواهب والقدرات من أجل جزائر حرّة مستقلة .

ونحن في هاته الدراسة المتواضعة، سنحاول لفت الانتباه لأهم ما سجله التاريخ، وحفظته لنا الكتب، من أقوال وخطب ومواعظ، تركها لنا الإبراهيمي دليلا قاطعا على مواكبته جميع الأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري، قبل الثورة وبعدها، نتعرف من خلالها على بلاغة نادرة حباه الله تعالى بها، فوضعها لخدمة الوطن من خلال طرق مواضيع شتى: كالفرنسة، والاستعمار، والأخلاق، والاتحاد، وخطر الصهيونية العالمية... الخ، وغيرها من المواضيع التي عرضناها في إطار التحليل الأسلوبي للنصوص النثرية، وفق مستويات ثلاث هي: المستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، والمستوى الصرفي، لنخلص بعدها لرأي نقدي وثقنا فيه زبدة البحث، وخلاصة العمل كله، عبرنا فيها من وجهة نظر نقدية بحتة، عن ذلك التعبير البليغ والراقي الذي وصل إليه الإبراهيمي، بعيدا عن المجاملة والذاتية والمبالغة .

ولقد جعلنا عنوان هذه الدراسة " بلاغة الكفاح ... "، أي البلاغة التي يمكن من خلالها التمييز بين المصطلحات والمفاهيم التي عمل المستعمر الفرنسي على ترسيخها في المجتمع الجزائري ضمانا لبقائه، وبين المصطلحات التي يجب تنوير المجتمع بها ضمانا لبقائه أيضا، فالتفريق بين المصطلحات خطوة أولى لفهم دسائس الاستعمار وخدعه، علاوة على جبروته وطغيانه وسيطرته .

المنهج المتبع: رأينا أن يكون المنهج المتبع في هاته الدراسة، هو المنهج البنيوي، الذي تقوم عليه أغلب الدراسات الأسلوبية، من خلال تفكيك بنية النص، واستكناه مفرداته بمعانيها، من أجل فك شيفرته وبلوغ المقصد منه .

الأسباب والأهداف: أما عن الأسباب والأهداف، المتعلقة بهاته الدراسة فإنها تكمن في النقاط التالية:

أ- الأسباب:

- التعرف على الوجه الآخر للثورة الجزائرية، ألا وهو " الجهاد الأدبي " أو " الجهاد بالقلم " .
- التعريف بأحد أهم علماء اللغة ومجاهدي الجزائر ألا وهو " محمد البشير الإبراهيمي " .
- كشف جرائم الاستعمار " اللغوية والفكرية "، علاوة على الجرائم البدنية والنفسية .

ب- الأهداف:

- تطبيق الدراسة التحليلية الأسلوبية على النصوص النثرية (أقوال البشير الإبراهيمي أمودجا) .

- إثراء الرصيد اللغوي والنهل من الثروة اللغوية التي امتلكها وتميّز بها الإبراهيمي، وانفرد بها معجمه اللغوي .

- محاولة إثراء وتدعيم البحث العلمي بمثل هاته المواضيع قدر الإمكان .

الخطّة: تشتمل خطة البحث على مقدمة وقسمين دراسيين، تحتوي المقدمة على تمهيد بسيط، وعرض أولي للجملة الأهداف المنشودة والأسباب والمنهج والإشكالية، في حين جاء القسم الأول عبارة عن دراسة نظرية لأهم المفاهيم التي يقوم عليها البحث، وجاء القسم الثاني عبارة عن عمل تطبيقي يحتوي نصوصا للإبراهيمي مدروسة دراسة أسلوبية، مع تذييل البحث برأي نقدي وخاتمة .

الإشكالية: وبخصوص إشكالية البحث، التي تعد محور الأساس الذي تدور حوله الدراسة كلها، فإننا يمكن أن نعرضها في الأسئلة التالية:

- ما المقصود ببلاغة الكفاح ؟ وما دلالتها في تاريخ الثورة الجزائرية، وتأثيرها أيضا ؟

- ما مدى تأثير نصوص البشير الإبراهيمي على القراء من وجهة نظر نقدية ؟

- ما مدى تطبيق الدراسة التحليلية الأسلوبية على نصوص الإبراهيمي ؟

- ما المكانة الحقيقية التي يمكن وضع الإبراهيمي فيها بعد هاته الدراسة التحليلية ؟

القسم الأول: نظري:

توسّع الاستعمار الفرنسي في الجزائر واتسعت معه رقعة المناطق المدنية، نتيجة سياسة الاستيطان التي اتبعتها الإدارة الفرنسية في الجزائر، حيث بدأ التفكير في إنشاء هيئة إدارية خاصة، على غرار ما كان موجودا في المناطق العسكرية، عرفت باسم " المكاتب العربية للعمالة Bureaux Arabes Départementaux " وكان ذلك في شهر أوت 1845م¹ ، وقد كان لهذا العمل دور كبير في بسط نفوذ فرنسا الاستعمارية، وتسهيل مشروع الفرنسة والاستيطان، التي جاءت به، طمعا منها في القضاء على مقومات الشعب الجزائري، وهي: الإسلام، العروبة، والأمازيغية، وهي مقومات لطالما تشبثنا بها كما تشبث بها آباؤنا وأجدادنا الأولون كابرا عن كابر، على غرار الشيخ الإبراهيمي، الذي يعتبر في نظر الكثير من الدارسين " واحدا من القامات الأدبية الكبيرة التي شهدها الأدب العربي خلال القرن العشرين، فإنه لغوي وأديب من الطراز العالي، تشهد له كتاباته ومقالاته الصحافية المختلفة، ينضاف إلى ذلك مهارة خطائية نادرة، يصفه عبد الله الركبي فيقول: " قد ملك ناصية القول، واستوعب البيان العربي، تبخر في اللغة العربية وآدابها، وامتاز بالقدرة على توليد الكلام، وامتاز بالموهبة الأدبية وغُرف بالارتجال، ولكن خطبه لم يبق منها إلا القليل .. فلو اكتشفت كل آثاره في هذا الميدان، واطّلع عليها الباحثون، فرما تغيرت النظرة نحو الخطابة الأدبية في الجزائر " ² ، ولولا أنه ولد في عصر الاستعمار لكان عالما من علماء اللغة، ومحققا فريدا من نوعه، قلّ نظراؤه في العامل العربي، لكونه استطاع أن يتقن علوم العربية من جهة، ويطلّع على ثقافة الغربيين من جهة أخرى، وهذا ما لم يستطع معاصروه بلوغه .

هذا ومن المفاهيم التي أردنا طرقها في هذا الجزء النظري، ما يلي:

1- مفهوم بلاغة الكفاح: البلاغة؛ مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف لتفاوت مقامات الكلام، فمقام التنكير يبين مقام التعريف ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقليل يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف (...). وكذا خطاب الدّكي يبين خطاب الغي³ وهي أيضا: " تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون"⁴ وعلى هذا المعنى اتفق جل العلماء والباحثين على اختلاف الألفاظ التي وظّفوها، وبالتالي فإننا إذا جمعنا بين هذا التعريف ومفهوم الكفاح الذي يحمل معاني التضحية بكل شيء من أجل الحرية يمكن أن نخلص إلى أنّ المقصود بـ "بلاغة الكفاح"، القدرة على إيصال المعنى الحقيقي للمقاومة في قالب يجمع بين حسن البيان، ومراعاة المستويات الثقافية المختلفة للقراء، والاحتراز من الوقوع في فخ المصطلحات المصطنعة من لدن المستعمر الفرنسي، وهاته البلاغة هي التي بلغ فيها الإبراهيمي أسمى مرتبة، فمن ذلك ردّه " على هذا الاستعمار قائلا: "إننا إذ حكمناك إلى الحق غلبناك، وإذ حكمنا إلى القوة غلبتنا، ولكننا قوم ندين بأن العقاب للحق لا للقوة"، فهو يحتكم في هذه المقالة إلى قوله تعالى: ﴿...﴾⁵، وعلاوة على ذلك، فقد شهد للإبراهيمي ببلاغته تلك، العديد من الباحثين، المهتمين بالشأن اللغوي عربيا ووطنيا على غرار سمير جريدي، الباحث الجزائري، في حديثه على علمين مؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، فيقول: "ويكفي للتدليل، أن نذكر خصائص أدب عضوين من أعضاء الجمعية، وهما: محمد العيد آل خليفة، ومحمد البشير الإبراهيمي، فأما الأول فهو حسان الحركة الإصلاحية، الذي انتقل بالشعر من وظيفة التكبّس والتملّق إلى جعله أداة و وسيلة فعالة في نوعية الشعب دينيا ووطنيا، وأما الآخر فقد كان إماما في العربية، تفقّه في أسرارها وتغذّى بآدابها، واستنار بقرآنها، وكان خطيبا مصقعا، يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للعربية من سلطان"⁶

2- جمعية العلماء: في الأصل، تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمثابة الهيئة الدينية التي سعت إلى تعليم الناشئة، القرآن الكريم، وعلومه، وأصول الدين الإسلامي الحنيف، ولكن طبيعة العصر الذي ظهرت فيه جعلتها تأخذ أبعادا أخرى، إنسانية، واجتماعية، وثورية، وحتى سياسية في بعض الأحيان، وهذا كله في إطار خدمة الوطن وتحريره من المستعمر الفرنسي، ولقد "تأسست الجمعية يوم 05 ماي 1931م، في الجزائر العاصمة، وكان مقرّها "نادي التّرقّي"، وقد انتخب الإمام عبد الحميد بن باديس رئيسا لها، والإمام محمد البشير الإبراهيمي نائبه، ومحمد الأمين العمودي كاتبها، ومعاونه الطيب العقبي، أما الشيخ مبارك الميلي فقد انتخب أمينا للمال، وكان إبراهيم بيّوض معاونه، بالإضافة إلى سبعة مستشارين، كما شارك في الجمعية بعض الطريقين، وبعض رجال السياسة والمثقفين...، ووقد كان للجمعية قانون خاص ومبادئ وأصول، ولقد أفصحت عن أهدافها الإصلاحية النهضوية منذ البداية"⁷

3- محمد البشير الإبراهيمي (1889م/1965م): هو العلامة الشيخ، محمد البشير الإبراهيمي، العالم اللغوي الفذ، والمجاهد الرباني، الذي أغنى صفحات التاريخ بالكتب والجرائد الداعية إلى الثورة، وأتحفها بالمقالات والنصوص الداعية إلى التشبث باللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف، موظفا فنونا لا حصر لها من البلاغة والبيان، كما "يعدّ من أبرز الأدباء

الذين استوعبوا قيمة التشبيه في تقريب الرؤية الفكرية للمتلقي، فما كادت تخلو من نصوصه، خاصة وأنه مصلح يهدف إلى إيصال الحقائق للقارئ بشتى الطرق، لذلك أشاع قلمه ولسانه التصوير بالتشبيه في فنون نثره الأدبي لإيضاح معانيه وإضفاء قوة إنجازية تعبيرية في كتاباته الإصلاحية، التي لها تأثيرها الخاص على مشاعر وعواطف المتلقي " ⁸ ، والتشبيه من أهم تلك الفنون المساعدة تبسيط الأفكار، وتوضيح الصورة لدى المخاطبين، إذ لا تخلو خطبة أو قصيدة عربية وغير عربية منه، كما لا تخلو قصائد الإبراهيمي ولا خطبه منه أيضاً، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالجانب الحجاجي الذي برع فيه أيما براعة، منافحاً عن القيم السامية التي تربي عليها ودعا إليها وإلى إحيائها، في شتى المحافل الوطنية، والعربية، لذلك " يقول الأستاذ الدكتور نور الدين دريم في مقال له بعنوان " البعد الحجاجي وبنيتة الإقناعية في خطابات البشير الإبراهيمي، دراسة في عيون البصائر " : " تميزت جلّ خطابات البشير الإبراهيمي التي جمعت في عيون البصائر، لجملة من الخصائص التي جعلتها صالحة لأن تكون نواة دراسة حجاجية بامتياز، بفضل تنوع أسلوب الشيخ في تقديمها، وتضمنها لجملة من الحجج المختلفة : عقلية، منطقية، لغوية ... " ⁹

4- التحليل الأسلوبي: دراسة حديثة ممنهجة، تقوم على معرفة الأسلوب المتبع من طرف صاحب النص، واستكناه ما وراءه من إيحاءات ورموز، وذلك من خلال التغلغل في الإيقاعين الداخلي والخارجي - إذا كان النص نصاً شعرياً - والبحث في الصيغ الصرفية وتأثيرها على المعاني النحوية، ومعرفة مضمون النص وصوره الفنية ورموزه ومعجمه، إضافة إلى الجمل الخبرية والإنشائية والمؤكدّة والمنفية والمستثناة، وأسلوب التقديم والتأخير والقصر والشرط، وهذا كله وفق مستويات أربعة هي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، كما " تمثل الأسلوبية في التنظيرات الغربية، جسراً يربط اللسانيات بالنقد الأدبي، وقد انتقل مصطلح Stylistique إلى العربية بتسميات قليلة متقاربة، كـ " الأسلوبيات " عند سعد مصلوح، ورابع بوحوش، أو " علم الأسلوب " الذي يتوازى مع الأسلوبية في (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث)، و(المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات)، و(قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية)، ومجمل الكتابات المصرية، أو " علم الأساليب " الذي أشاعته بعض الكتابات اللبنانية، وهي في تعريف المسدّي: [علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لتنظيم جهاز اللغة] ¹⁰ ، فهي بذلك غريبة النشأة من حيث الحدائث والإصلاح، لا من حيث القطعية، إذ يمكن أن تكون للعرب عناية بها ولو من غير تقنين واصطلاح، ذلك أن العرب قد عرفوا منذ الجاهلية، بالاعتناء بالبلاغة والأساليب الكلامية، وكان للكلمة وقعها في صدر كل عربي .

القسم الثاني: تطبيقي:

نتناول في هذا القسم مجموعة من النصوص النثرية المنسوبة للبشير الإبراهيمي، والتي نعرض فيها كل نص على حدة، مرفوقاً بدراسة تحليلية على ضوء المنهج الأسلوبي .

النص الأول: يقول الإبراهيمي: " جاءت فرنسا بالراهب الاستعماري، لتفسد على المسلمين دينهم، وتفتنهم عن عقائدهم، وتشككهم بثليلته في توحيدهم، وتضار في ألسنتهم كلمة " الهادي " بكلمة " الفادي " (...) وجاءت بالمعمل الاستعماري ليفسد على أبناء المسلمين عقولهم، ويلقي الاضطراب في أفكارهم، ويستنزهم عن لغتهم وآدابهم،

ج- الطبيب الاستعماري: يرمز إلى كل من كان يجتهد في مساعد المحتاج أو المريض إن كان فرنسيا، ويتكاسل عن المساعدة إن كان المحتاج جزائريا مسلما، بداية بالطبيب الحقيقي، وحتى من يعمل على سيرته .

2-3- المعجم: من الألفاظ الدالة على غزارة معجم الإبراهيمي: الراهب الاستعماري، الطبيب الاستعماري، المعلم الاستعماري، الهادي، الفادي، التثليث .

3- المستوى التركيبي: أ- جملة خبرية: قوله: " جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الاستعماري " .

ب- النفي والاستثناء: قوله: " لا يكون إلا حيث يكون الأوروبيون " .

4- المستوى الصرفي: - الراهب الاستعماري = الطبيب الاستعماري = المعلم الاستعماري . (نفس الوزن مع اختلاف الدلالة)

- دينهم = عقائدهم = توحيدهم (تقارب في الصيغة الصرفية) .

- تشككهم = تفتنهم (تقارب في الصيغة الصرفية) .

- الهادي = الفادي (تشابه في الصيغة الصرفية)

- يلقي = يستنزل = يشوّه (تقارب في الصيغة الصرفية) .

- أفكارهم = آدابهم = تاريخهم (تقارب في الصيغة الصرفية) .

النص الثاني: يقول الإبراهيمي: " كلمة " الاستعمار " إحدى الكلمات المظلومة باستعمالها في ضد معناها الوضعي، مع خلّوها من النكتة التي يلمحها العرب في مثل هذا النوع من الاستعمال حين سمو البيداء المهلكة مفازة، واللديغ سليما، والغادية قافلة، والنكتة الغالبة في تسمية الشيء باسم ضده هي التفاؤل أو التفريغ أو حسن الأدب في الخطاب أو عدم صك الأسماء بسوء القول، وكلمة " الاستعمار " آتية من " عمّر " ضد " خرّب "، مع أن التفسير العملي لهذه الكلمة هو الخراب والتخريب، وليس فيها شيء من معنى الإعمار والتعمير¹²

التحليل:

1- المستوى الصوتي: /

2- المستوى الدلالي:

2-1- مضمون النص: تخرّيج المعنى الحقيقي لدلالة كلمة " الاستعمار "، وذلك بهدف التأثير على العقلية الجزائرية وتغييرها من السلب إلى الإيجاب، وهذا الخطاب موجّه للطبقة المثقفة القارئة على وجه الخصوص .

2-2- الصورة الفنية: تشبيه : شبه الإبراهيمي وضع كلمة " الاستعمار " - في هذا العصر - بكلمات جاهلية استعملت في ضد معناها، كالبيداء، واللديغ، والغادية ... الخ

2-3- الرمز: الاستعمار: وهو رمز للاستبداد والظلم الأوروبي لمختلف شعوب العالم .

2-4- المعجم: مما يدل على غزارة المعجم اللغوي عند الإبراهيمي قوله :

أ- قوله: كلمة الاستعمار آتية من " عمّر " ضد " خرّب " ، مع أنّ التفسير العلمي لهذه الكلمة هو الخراب والتخريب، وليس فيها شيء من معنى الإعمار والتعمير .

ب- وقوله: " صكّ الأسماع " .

3- المستوى التركيبي:

3-1- الجمل الخبرية: قوله: " كلمة الاستعمار إحدى الكلمات المظلومة باستعمالها في ضد معناها المعجمي " .

3-2- النفي: قوله: " ليس فيها شيء من معنى الإعمار والتعمير " .

4- المستوى الصرفي: عمّر = خرّب (فعل) (نفس الوزن، رغم تضادّ الدالتين).

النص الثالث: يقول الإبراهيمي: " إن فرنسا ابتعلت أجزاء الوطن الواحد على ثلاث لقم، ثم أوهمتنا وأهمت العالم أن هذه العملية لا تسمى ابتلاعا، وإنما تكييف كيماويّ تصبح به أمة متمدّنة، وكذبها الله وكذبها طبع السوء فيها، فكنا في حشاها أشوكا نخزّ وأوجاعا تؤلم، فإذا هدأ الوحز والإيلام فإنما هي هدأة عارضة وستلفظنا مكرهة عند الحشرة الأخيرة من حياتها، وسنكون سبب موتها " ¹³

التحليل:

1- المستوى الصوتي: /

2- المستوى الدلالي:

2-1- مضمون النص: كشف حقيقة فرنسا الاستعمارية، وفضح خططها في الاستلاء على الوطن من خلال التفرقة أولاً، ثم السيطرة بالتدريج على الأجزاء المفرقة ثانياً، ثم إقناع الجميع بأنها جاءت بالمدينة والتحضّر لهم ؛ وهذا كله راجع إلى خبثها وحقارتها وسوء تدبيرها .

2-2- الصورة الفنية: استعارة: ابتعلت: شبه فرنسا بالوحش الذي يبتلع كل شيء، ولكنه - أي الإبراهيمي - لم يصرّح باسم هذا الوحش، وإنما استعار منه الصفة فقط .

2-3- الرمز: أمة متمدّنة: رمز للتقدّم ، وليس المقصود به السكن في المدينة فقط، بل أوسع دلالة ورمزية .

2-4- المعجم: مما يدل على غنى معجم الإبراهيمي في هذا النص ما يلي : ابتلعت ، ثلاث لقم ، تكييف كيماوي ، تحزّ ، هدأة عارضة ، تلفظها ، الحشرة .

3- المستوى التركيبي:

3-1- جملة مؤكدة: قوله: " إن فرنسا ابتلعت أجزاء الوطن الواحد على ثلاث لقم "

النص الرابع: يقول الإبراهيمي: " قرأنا سير الإنجليز في الند فوجدناهم بالغوا في إعطاء الحرية للأديان حتى بلغوا حد السخافة، وسوّوا في تلك الحرية بين " قراء البقرة " بالحق، وعبّاد البقرة " بالباطل "¹⁴

التحليل:

1- المستوى الصوتي: /

2- المستوى الدلالي:

2-1- مضمون النص: توعية الشعوب بخطر الاستعمار الأوروبي، وتنبية العرب والجزائريين على وجه الخصوص، للطريقة التي تعامل بها مع الهنود، وأنه لا بد وأن هذا هو نهج كل مستعمر مع كل مستعمر، فلا نغتر بشعاراتهم عن الحرية والعدالة والمساواة، التي تفننوا في رفعها كذبا وزورا وبهتانا .

2-2- الصورة الفنية: أ- كناية: في قوله: " قراء البقرة (كناية على المسلمون) / عبّاد البقرة (كناية على الهندوس) "

ب- تعريض: في قوله: " حتى اتسع معنى الاستطاعة " ، ولا يعني بالاستطاعة ، القدرة فقط، وإنما القدرة التي فرضها الشرع الحكيم، وشتان بينهما، وهو أمر يفصل فيه الفقهاء وأولو الأمر من الحكام العرب المسلمين، وليس الحكام المستعمرين للبلاد لأنهم نصارى لا يفقهون في أمور الدين شيئا، ولقد أراد الإبراهيمي بهذا القول أن يعرض بالسياسية البريطانية التي أرادت ضرب الدين بالدين في حالات شتى .

2-3- الرمز: حرية الأديان: مصطلح حديث يستعمل كثيرا للدلالة على مكافحة الاستعمار في ظاهره، وخدمته في الباطن .

2-4- المعجم: من الألفاظ الدالة على غزارة معجم الإبراهيمي في هذا النص قوله : " بلغوا، بالغوا، الإنجليز، حرية الأديان، السخافة، قراء البقرة، عبّاد البقرة .

3- المستوى التركيبي:

3-1- جملة خبرية: قوله: " قرأنا في سير الإنجليز في الهند " .

4- المستوى الصرفي : قراء البقرة = عبّاد البقرة

قراء = عبّاد

(نفس الوزن على الرغم من اختلاف المعنى وتضادّه)

بالغوا - بلغوا (الاشتقاق من المادة نفسها)

الحق / الباطل (تضاد في المعنى وتقارب في الصيغة الصرفية)

النص الخامس: يقول الإبراهيمي: " نحن لا نجهل تغلغل الصهيونية في فرنسا، ولا نجهل تحكّم اليهودية في مرافقها الحيوية، وفي جهازها الحكومي، بل في كيانها الذي هي به أمة، بل نعدّ فرنسا ومستعمراتها كلها مستعمرة واحدة يهودية، بل نستغرب مطالبة اليهود بوطن قومي مع أنّ فرنسا كلها وطن قومي لهم " ¹⁵

التحليل:

1- المستوى الصوتي: /

2- المستوى الدلالي:

1-2- مضمون النص: يهدف الإبراهيمي في هذا النص إلى تنبيه المجتمع للعلاقة الوثيقة التي تربط فرنسا الاستعمارية بالحركة الصهيونية العالمية، وتحكّم الصهاينة في الحكومة والجيش الفرنسيين، حتّى أنه اعتبر فرنسا مستعمرة يهودية، وأنّ مستعمراتها مستعمرات يهودية أيضاً، وهنا يطرح السؤال التالي: لماذا يسعى اليهود إلى إقامة وطن قومي لهم في فلسطين بحجة أنهم شعب بلا أرض - أو وطن - مع أنّ لديهم وطن هو: فرنسا؟؟؟ .

2-2- الصورة الفنية: تعريض: النص كلّ عبارة عن تعريض بالكيان الصهيوني الذي يطالب بإقامة وطن له في فلسطين، مع أنّ لديه وطن هو: فرنسا " .

2-3- الرمز: أ- الصهيونية: رمز للشيطانية والدكتاتورية والإرهاب العالمي .

ب- الكيان: رمز لما يُعتقد أنه حكومة دولة لا تعترف الجزائر ولا الشعب الجزائري بها .

- قومي: القومية رمز للانتماء، وهو مصطلح مستمد من الثقافة العربية، لكن اليهود سرقوه وقاموا بتضمينه في ثقافتهم، لكي يوقعوا الاضطراب في عقول العرب والعالم كله .

2-4- المعجم: من الألفاظ الدالة على غنى المعجم الإبراهيمي قوله: تغلغل، الصهيونية، اليهودية، المرافق الحيوية، الجهاز الحكومي، الكيان، الوطن القومي .

3- المستوى التركيبي:

3-1- جملة منفية: قوله: " نحن لا نجهل تغلغل الصهيونية في فرنسا " .

4- المستوى الصرفي: - تغلغل = تحكّم (نفس الصيغة)

- الصهيونية = اليهودية (تقارب في الصيغة)

- جهازها = كيانها (نفس الصيغة)

النص السادس: يقول الإبراهيمي: " والمقاومة الحقيقية الموجودة في الجزائر، هي مقاومة أهداف الاستعمار، وقد نجحت إلى أقصى حدود النجاح، فهو قد عمل في مئة سنة على محو آثار الإسلام من النفوس بقتل أخلاقه المتينة وعقائده الصحيحة، وعلى محو عزّة العروبة من النفوس، ومحو بياها من الألسنة والقرائح، وقد كاد ينجح، ولو نجح لتمّ له ما يريد بعد مئة سنة أخرى من فرنسا الجزائر وجعلها مسيحية الدين لاتينية الجنسية " ¹⁶ .

التحليل:

1- المستوى الصوتي: /

2- المستوى الدلالي:

2-1- مضمون النص: شرح المعنى الحقيقي للمقاومة، القائم على محاربة الأساليب الدنيئة للاستعمار الفرنسي في قمع آثار الإسلام من نفوس الجزائريين وأخلاقهم، ونزع العروبة من النفوس والألسنة والقرائح، والغرض منه إفهام العالم- وفرنسان على الخصوص- وعي الجزائريين بذلك .

2-2- الصورة الفنية: كناية: في قوله: " محو بياها من الألسنة والقرائح " البيان = كناية عن الخطابة العربية ، والقرائح = كناية عن الشعر العربي .

2-3- الرمز: أ- مسيحية الدين: رمز للردة، أو كل عمل يشبه أعمال النصارى يقوم به المسلم أثناء العبادة .

ب- لاتينية الجنسية: رمز للتعبية للاستعمار إلى حد الانصهار .

2-4- المعجم: من الألفاظ الدالة على غنى المعجم اللغوي لدى الإبراهيمي، قوله: المقاومة الحقيقية، الأخلاق المتينة، عزّة العروبة، البيان، القرائح، المسيحية، اللاتينية، القرّسّة .

3- المستوى التركيبي: الحملة الخيرية: قوله: " المقاومة الحقيقية الموجود في الجزائر هي مقاومة أهداف الاستعمار " .

4- المستوى الصرفي:

أخلاقه المتينة = عقائده الصحيحة (نفس الصيغة)

مسيحية الدين = لاتينية الجنسية (تقارب في الصيغة)

الرأي النقدي:

لا ريب في أنّ للإبراهيمي مكانة مرموقة لدى مختلف الدارسين والباحثين في شتى التخصصات، فهو بالنسبة للمؤرخ يعدّ مرجعا أساسا من مراجع تاريخ الجزائر الحديث، لما واكبه من أحداث هامة وثّقها في مقولاته، وخطابته وكتبه وأشعاره، وهو بالنسبة للأديب واللغوي يعدّ منهلا من مناهل اللغة، لغزارة معجمه وبلاغة كلماته، وهو بالنسبة للباحث في العلوم الشرعية، يعدّ عالما من علماء الدين لسعة اطلاعه، وقوة حافظته، وورعه وتقواه .

و نحن من خلال هذا العمل النقدي البسيط، نؤكد أننا قد وجدنا أنفسنا أمام قامة من قامات اللغة، أخذنا بتلك المستويات التي اعتمدناها في إطار الدراسة الأسلوبية، وهي: المستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، والمستوى الصرفي، فضلا عن المستوى الصوتي الذي لم لنا حظ دراسته، لأنه يقوم على تحليل النصوص الشعرية لا النثرية ...؛ وجميع هاته المستويات قد كشفت لنا عن بلاغة تكاد تكون نادرة في هذا العصر، سميناه في أول هذا العمل بـ " بلاغة الكفاح"، والتي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

1- في المستوى الدلالي: امتاز الإبراهيمي في هذا المستوى بقدرته الفائقة على بسط الموضوع بأسلوب يجمع بين الوضوح الشديد والإيجاء الشديد أيضا، فمن يقرأ نص الإبراهيمي يتضح له من الوهلة الأولى ما الموضوع المراد البحث فيه ومعالجته: (المقاومة، خطر الاستعمار، علاقة فرنسا بالحركة الصهيونية، أخلاق الجزائريين وأخلاق الفرنسيين، حقيقة فرنسا الاستعمارية، الأساليب الاستعمارية غير الحربية، الدعوة إلى الالتفاف حول القائد الناجح، الكفر ملة واحدة " إشارة إلى تشابه الاستعمارين الفرنسي والبريطاني " ... إلى غير ذلك من المواضيع)، أما إذا حاول القارئ تجزئة نصوص الإبراهيمي إلى كلمات وجمل وحروف، فإنه سوف يصطدم بمجموعة من الإيحاءات و الانزياحات الفائقة البراعة، تعزوها الكثير من الصور البيانية، وتوظيف الرمز، والمعجم اللغوي الغزير .

2- في المستوى التركيبي: أبان الإبراهيمي هذا المستوى عن اطلاع واسع وتمكن كبير من علم النحو العربي، وذلك لكثرة ما وظّفه من جمل إنشائية وخبرية ونفي واستثناء... وغيرها، ولقد قمنا بالإشارة إلى بعضها - لا إلى كلّها - في هذه الدراسة .

3- في المستوى الصرفي: أما عن الصرف، فإن حظ الإبراهيمي - أو بالأحرى ، حظّه هو من نصوص الإبراهيمي - لا يقلّ عن النحو، بل إنه يزيد، وهذا لتنوّع الصيغ الصرفية التي زيّن بها الإبراهيمي كلماته، والجدير بالذكر، أنه لم يكن يوظّف تلك الصيغ بشكل اعتباطي، بل كان يوازن بينها بما يتوافق مع دلالة الألفاظ، إما في الترادف (مثال: جهازها = كيانها [نفس الصيغة الصرفية])، وإما في التضاد (مثال: إنسانية / وحشية [نفس الصيغة الصرفية])، وهذا الأسلوب هو من الأساليب الراقية في الكتابة والتأليف، وليس لأحد أن يصل إليه ما لم يكن ملما بعلوم اللغة كلّها، أو جلّها على الأقل .

وعلى العموم، فإننا - من وجهة نظر نقدية - نعتبر أنّ البشير الإبراهيمي بمثابة طفرة من طفرات التاريخ، وعلم من أعلام اللغة، وركيزة من ركائز الجهاد في بلد ولادة للرجال هي: " الجزائر " .

الخاتمة:

خلصنا من خلال هذا العمل المتواضع إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات يمكن أن نعرضها فيما يلي:

- حب الوطن والدفاع عنه، من الأخلاق النبيلة التي يجب التحلي بها .
- الإمام العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، من الرجال القلائل الذين عرفوا بتلك الأخلاق .
- تناولت هاته الدراسة أهم الأقوال المنسوبة للإبراهيمي .
- أثبتت هاته الدراسة - بما لا يدع مجالا للشك - أن للإبراهيمي بلاغة عالية قلت نظيراتها .
- من أهم ما كان للإبراهيمي ينافح عنه في نصوصه البلاغية، " الإسلام، والعروبة، والأمازيغية " إضافة إلى الحرية أيضا .
- علاوة على بلاغة الإبراهيمي التي تميز بها، فإنه تميز أيضا بثقافة واسعة، واطّلاع كبير على مختلف الأحداث العالمية التي عاصرها، كموضوع الصهيونية وخطرها على العالم .
- بلاغة الكفاح: هي البلاغة التي تعمل على إيصال المعنى الحقيقي لمقاومة في قالب يجمع بين حسن البيان ومراعاة المستويات الثقافية المختلفة للقراء، مع الاحتراز من الوقوع في فخ المصطلحات المصطنعة من لدن الاستعمار .
- التحليل الأسلوبي: هو دراسة لغوية حديثة، و ممنهجة، تقوم وفق أربعة مستويات هي: " المستوى الصرفي، والمستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي (وهو نفسه المستوى النحوي) .

وفي الأخير نقول: فإن البشير الإبراهيمي، يعد طفرة أدبية خالصة، تجاوزت المكان والزمان، وتحدت الضغوطات والأزمات، ورفعت شعار " العلم " من أجل التحرر، ومن أجل العيش، ومن أجل السلام، ومن أجل الجزائر أولا وأخيرا، ولا أدل على هذا من قوله: " شعب يقرأ ... شعب لا يجوع ولا يستعبد "، فقد كان حريصا على بناء مجتمع قارئ يضمن لنفسه الحياة الكريمة، ويضمن لغيره المعاملة الحسنة، كما يضمن الحرية للضعفاء، والعدل للمظلومين، والقصاص للظالمين، وهكذا يكون أبناء الجزائر

- قائمة المراجع:

- 01- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم (مصحف وورد) .
- 02- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، الطبعة الأولى 1997م .
- 03- بوزودة حبيب، استراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي، خطبة مسجد كتشاوة أمموزجا ، مجلة فصل الخطاب، جامعة تلمسان، المجلد 03، العدد 04، جانفي 2014م .
- 04- الخطيب القزويني، الإيضاح، في علوم البلاغة العربية، دار الأبحاث، الجزائر، الطبعة الأولى 2007م .
- 05- زايد عي الدين، أثر القوانين والمراسيم الاستعمارية الفرنسية في تقييد حرية الجزائريين 1900/1830، مجلة آفاق الفكرية، المجلد 09، العدد 03/ديسمبر 2021م .

- 06- سمير جريدي، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة، مجلة الآداب واللغات، العدد 1/ جوان 2015م .
- 07- صواغير فاطمة، أثر القرآن الكريم في نثر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة فصل الخطاب، المجلد الثالث، العدد 09/ مارس 2015م .
- 08- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، القاهرة. مصر، ط 2011م .
- 09- ابن عيّا فتيحة، الأفعال الإنجازية غير المباشرة المجازية - خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 02/ سبتمبر 2020 .
- 10- لكحل حمدي، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الثوابت الوطنية، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، والمجلد 06، العدد 02/ 2021م .
- 11- نور الدين دريم، البعد الحجاجي وبنيتة الإقناعية في خطابات البشير الإبراهيمي، دراسة في عيون البصائر، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريش، العدد جوان 2020م .
- 12- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في خطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى 1430هـ/ 2009م .

الهوامش:

¹ زايدي عز الدين، أثر القوانين والمراسيم الاستعمارية الفرنسية في تقييد حرية الجزائريين 1900/1830، مجلة آفاق الفكرية، المجلد 09، العدد 03/ ديسمبر 2021م، ص: 144 .

² د. بوزودة حبيب، استراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي، خطبة مسجد كتشاوة أنموذجا، مجلة فصل الخطاب، جامعة تلمسان، المجلد 03، العدد 04، جانفي 2014م، ص: 76

³ الخطيب القزويني، الإيضاح، في علوم البلاغة العربية، دار الأبحاث، الجزائر، الطبعة الأولى 2007م ص: 127 .

⁴ علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، القاهرة. مصر، ط 2011م، ص 13.

⁵ صواغير فاطمة، أثر القرآن الكريم في نثر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة فصل الخطاب، المجلد الثالث، العدد 09/ مارس 2015م، ص: 207 .

⁶ أ. سمير جريدي، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة، مجلة الآداب واللغات، العدد 1/ جوان 2015م، ص: 51، 52 . (بتصرف) .

⁷ لكحل حمدي، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الثوابت الوطنية، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، والمجلد 06، العدد 02/ 2021م، ص: 386 .

⁸ د. ابن عيّا فتيحة، الأفعال الإنجازية غير المباشرة المجازية - خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 02/ سبتمبر 2020، ص: 828 .

⁹ أ. د. نور الدين دريم، البعد الحجاجي وبنيتة الإقناعية في خطابات البشير الإبراهيمي، دراسة في عيون البصائر، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريش، العدد جوان / 2020م، ص: 444 .

¹⁰ د. يوسف وغلبيسي، إشكالية المصطلح في لخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، ص: 182، 183.

¹¹ د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، الطبعة الأولى 1997م، ص: 96. (بتصرف)

¹² د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الرابع، 1952-1954م، ص: 380.

¹³ د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الخامس، ص: 39.

¹⁴ د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث 1947-1952م، ص: 104.

¹⁵ نفسه، ص: 461.

¹⁶ د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، الجزء الرابع، ص: 88.